

الموعظة التاسعة

الْقَرْضُ الْحَسَنُ وَمَخَاطِرُ الرِّبَا

هدف الموعظة

تعرف مفهوم القرض الحسن، والتنبيه من مخاطر الربا.

محاوّر الموعظة

1. ما هو القرض الحسن؟
2. سبب نزول آية الإقراض
3. مخاطر الربا

تصدير الموعظة

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾¹.

¹ سورة البقرة، الآية 276.

تمهيد

في ظلّ الأوضاع المعيشيّة الصّعبة التي نعاني منها، والتي يعود جزءٌ كبيرٌ منها إلى النظام الرّبويّ الحاكم في المعاملات الماليّة في كلّ أقطار العالم اليوم، يقف الإسلام لِيُبرِزَ ثقافةً أخرى معارضةً للسادات، ومبنيّةً على أساس التكافل الاجتماعيّ، وهي ثقافةُ القرض الحسن. فما هي معالم القرض الحسن؟ وما هي مخاطر استبداله بنظام الربا؟

ما هو القرض الحسن؟

كلُّ قرضٍ لم يُقَمْ على أساس الربا، وكان مُخلّصاً لله -تعالى- أي: خالٍ عن الشوائب من الشرك، والرياء، والسمعة، ومن المَرِّ والأذى، وفيه الخير والمنفعة العامة العائدة على الصالح العام، فهو من القرض الحسن.

وقد ورد الحثُّ البليغ والشديد في القرآن الكريم على القرض الحسن، وذكر الله له جزاءً مضاعفاً جداً بنحوٍ غير مألوف في غيره من المسائل، قال -تعالى-: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾¹، وقال عزّ وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾².

وقد شدّد في المقابل على وخامة أمر الربا، بلحنٍ لم يُعْهَد في غيره من الذنوب، حتّى الزنا وشرب الخمر والقمار والظلم، وما هو أعظم من ذلك، كقتل النفس التي حرم الله³، فقال -تعالى-: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

¹ سورة البقرة، الآية 245.

² سورة الحديد، الآية 11.

³ العلامة الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج2، ص409.

الْمَسِّ¹، وتوعد المرابين بحربٍ من الله ورسوله، فقال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ ثَبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾².

سبب نزول آية الإقراض

رُوي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَلَهُ مِثْلَاهَا فِي الْجَنَّةِ». فَقَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ (وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ الدَّحْدَاحِ): يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي حَدِيقَتَيْنِ، إِنْ تَصَدَّقْتُ بِأَحَدِيهِمَا، فَإِنَّ لِي مِثْلَيْهَا فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ مَعِي؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: الصَّبِيَّةُ مَعِي؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَتَصَدَّقَ بِأَفْضَلِ حَدِيقَتَيْهِ، فَدَفَعَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، فَزَلَّتِ الْآيَةُ، فَضَاعَفَ اللَّهُ صَدَقَتَهُ أَلْفٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ -تعالى-: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾. قَالَ: فَرَجَعَ أَبُو الدَّحْدَاحِ، فَوَجَدَ أُمَّ الدَّحْدَاحِ وَالصَّبِيَّةَ فِي الْحَدِيقَةِ الَّتِي جَعَلَهَا صَدَقَتُهُ، فَقَامَ عَلَى بَابِ الْحَدِيقَةِ، وَتَحَرَّجَ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَتَادَى: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ! فَقَالَتْ: لَبَيْكَ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ. قَالَ: إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ حَدِيقَتِي هَذِهِ صَدَقَةً، وَاشْتَرَيْتُ مِثْلَيْهَا فِي الْجَنَّةِ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ مَعِي، وَالصَّبِيَّةُ مَعِي. قَالَتْ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا شَرَيْتَ، وَفِيمَا اشْتَرَيْتَ. فَخَرَجُوا مِنْهَا، وَأَسْلَمُوا الْحَدِيقَةَ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله)، فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله): «كَمْ مِنْ نَخْلٍ مُتَدَلٍّ غُذِقَ لَهَا لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ!»³.

¹ سورة البقرة، الآية 275.

² سورة البقرة، الآيتان 278 - 279.

³ السيّد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، مصدر سابق، ج 8، ص 347.

العبرة من القصة

العبر التي تُستفاد من هذه الحادثة الحقيقية، التي جَرَتْ بين يَدَي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كثيرةٌ، نشير إلى أهمّها:

- الغنى المطلق لله -تعالى-، ومع ذلك، يَسْتَقْرِضُ الله من الناس قروضاً حسنةً لمنفعتهم.
- جزاء القرض ليس مكسباً دنيوياً، بل هو جزاءٌ أخرويٌّ، فالنبي (صلى الله عليه وآله) يدعو المؤمنين للتعلّق بالآخرة، من خلال أفعالنا في هذه الحياة الدنيا.
- تأكيد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أبي الدحداح بأن لا يتصدّق بكلّ ما لديه، فيُبقِي بستاناً له ولعياله، ويتصدّق بالآخر؛ لكي لا يكون أبو الدحداح عالّةً على غيره، وليُعلم أنّ الإنفاق على العيال صدقةٌ وجهادٌ أيضاً.
- الزوجة المخلصة لله -تعالى- تحبّ زوجها على فعل الخير وعلى الإقراض الحسن، ولا تصدّه عن أداء المعروف مع الناس. وانظروا إلى المقام الذي وصلته هذا المرأة، حيث إنّها بمجرد أن سمعت من زوجها أنّه تصدّق بكلّ ما يملك، بادلته الرضا والحثّ، خلافاً لبعض نساء هذا العصر، حيث قد تبادر زوجها بالاعتراض والقطيعة.

مخاطر الربا

يمكن إيراد بعض المخاطر الدنيويّة والأخرويّة للربا:

المخاطر الأخرويّة

1. أنّه من أكبر الذنوب

عن الرسول (صلى الله عليه وآله): «الرِّبَا سَبْعُونَ جُزْءًا، فَأَيُّسَرُهُ مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ

فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ»¹.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «دِرْهَمٌ رَبًّا أَشَدُّ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ سَبْعِينَ زَنْيَةً، كُلُّهَا بِذَاتِ مَحْرَمٍ»².

2. موجبٌ لللعن

عن الإمام عليّ (عليه السلام): «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الرَّبَّا، وَآكِلَهُ، وَبَائِعَهُ، وَمُشْتَرِيَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيَهُ»³.

3. محبطٌ للعمل

وعن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَنْ أَكَلَ الرَّبَّا، مَلَأَ اللَّهُ بَطْنَهُ نَارًا بِقَدْرِ مَا أَكَلَ مِنْهُ؛ فَإِنْ كَسَبَ مِنْهُ مَالًا، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ مَا دَامَ عِنْدَهُ مِنْهُ قِيرَاطٌ»⁴.

4. عقابه الأخروي

عن النبي الأعظم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فِي الْحَبْرِ الطَّوِيلِ فِي الْمِعْرَاجِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): «ثُمَّ مَضَيْتُ، فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ يُرِيدُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَقُومَ، فَلَا يَقْدِرُ مِنْ عِظَمِ بَطْنِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرَيْلُ؟ قَالَ: فَهُمْ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرَّبَّا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، وَإِنَّهُمْ لَبَسِيبِلِ آلِ فِرْعَوْنَ، يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ غُدُوءًا

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 74، ص 58.

² السيّد البروجرديّ، جامع أحاديث الشيعة، مصدر سابق، ج 18، ص 125.

³ الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج 3، ص 274.

⁴ السيّد البروجرديّ، جامع أحاديث الشيعة، مصدر سابق، ج 18، ص 126.

وَعَشِيًّا، يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟¹.

المخاطر الدنيوية

يقول الشيخ المظاهري: «كان هناك رجلٌ في أصفهان مُعْتَدٍ، كان يتعاطى الربا والاحتكار، رغم الغلاء الشديد، فكان يمتصّ دماء الناس... وعندما أصاب القحط البلاد، وقد شحّ القمح وغلا ثمنه، توجّه خبازو أصفهان إليه، وطلبوا منه أن يبيع القمح الذي يخبزونه، فقال: كم تشترون؟ قالوا بكذا. قال: بل بكذا، وحدّد سعرًا أرفع. وهكذا، كلّما اقترحوا قيمةً للقمح، كان يرفع السعر؛ لذلك لم يتفقوا، وقال: اصبروا إلى يوم غد كي أفكر، إلّا أنّه بالنتيجة لم يُعطِ القمح للناس، ومَرّت فترةُ الشدّة، ومات مَنْ مات، وجاع من جاع.. ولم تمرّ فترة طويلة من الزمن، حتّى ابتليَ بألمٍ في ساقه، وعُرضَ على أطباء، فلم تتحسن صحّته، وأخيرًا قرّر الأطباء، بعد التشاور، أنّ قدمه لا بُدَّ أن تُقَطَّع، إلّا أنّه من أين تُقَطَّع؟ وضع يده إلى طرف الساق الأسفل، قائلاً: إذا كان لا بُدَّ، فمن هنا، فقال الطبيب: لا، من هنا لا يُفِيد، ارتفع إلى الأعلى. يا سبحان الله! كما كان يطلب لسعر القمح دائماً الأعلى والأرفع، ابتلاه الله بنفسه، بالمبدأ نفسه الذي تسبّب فيه بالآلام الكثير، بل بموت بعضهم، وأخيرًا دفع كلّ ماله، وقطعوا ساقه، وظلّ أولاده من بعده يعانون من المصائب والمتاعب»².

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج6، ص240.

² المظاهري، الأستاذ حسين، جهاد النفس، ترجمة لجنة الهدى، دار المحجّة البيضاء، لبنان - بيروت، 2009م، ط2، ص108.